

لقد أحكم القصاص بناء قصته واختار لها هذا الهيكل الذي يحقق توازناً بين بدئه وختامه ، مما ترك أثره الفكري التأملي ، بيد أن الأثر الجمالي الذي ينبغي أن يتركه العمل الفني ينبغي ألا يتخلف عن الأثر الفكري ، ينبغي أن يتآزرا ويتم التعانق بينهما ، حتى يختلف عمل الكاتب المفكر عن عمل الكاتب الفنان .

ولا ريب في أن تحقيق الهيكل المتوازن المؤدي إلى الغاية عمل جمالي بقدر ما هو فكري ، ولكن بجانب الهيكل ينبغي أن يهتم بالصور الجزئية التي تملأ الفراغ الهيكلية وتعطيه حياته وقدرته على الامتاع . فإلى أي حد كان قصاصاً أصيلاً في التقاط صوره تلك ؟ ان اصالته لا تظهر في تصوير حالات القلق التي استولت على الناس ، فالعيون تتطلع إلى آخر الشارع ، ثم تجري وراء عقارب الساعات ، وعقارب الثواني والدقائق تحرك بسرعة اذياها ومثل هذه اللقطات ملك مشاع لا تدل على اصالة ملتقطيها ، ومن المؤسف انها أول ما يطالع القارئ للقصص غير أن هذا الأسف لا يلبث أن يتلاشى حين نرى قدرة القصاص على تكتيل هذه الصور وما يتخللها من حوار ، إذ يفصل بينها الفينة بعد الفينة قرار كأنه القرار الموسيقي الذي يتكرر بعد كل جواب ، ويتمثل هذا « القرار » في ظهور ضوء من بعيد تتعلق به العيون ظناً أنه نور « الأوبسيس » ، ولكنه لا يلبث أن يتحول إلى اتجاه آخر .. ان تكرار هذا القرار مثال لقدرة الفنان على جعل المألوف طريقاً أصيلاً .

بمثل هذا يتحقق المستوى الجمالي للعمل الفني ، على أن هناك المستوى «الصوابي» الذي ينبغي أن نحرص — أول ما نحرص على تحقيقه ، ذلك المستوى الذي يقضي بانتخاب القصاص لغته من المعجم « الفصيح » ولا أقول « المتفاح » من الكلمات والأساليب .

وقد يفتقر قوم — بدعة — عامية الحوار ، ولكن في حوار فصيح مثل قصتنا لا يفتقر لحن مثل — المهم لماذا لم تنضم اليهم (وتنام) معهم ؟ .. وفي سرد فصيح لا يصح أن يقال « كأنهم يعرفون بعضهم » فالمستوى الصوابي